السلطان في الأرض اعلم ان وجود الملك في الارض حكمة
الله عظيمة ونعمة على العباد جزيلة عظيمة لان الله تعالى جبل
الخلق على حب الانتصاف وعدم الانصاف ومثلهم بلا سلطان مثل الحوت في
الماء يزدرد الكبير الصغير ومتى لم يكن لهم سلطان قاهر لم ينتظم لهم امر
ولا يستقيم لهم معاش ولهذا قال بعض القدماء الورع السلطان من الارض
ما كان لله تعالى في اهل الارض من حاجة ومن الحكم التي في اقامة السلطان
انه من حجج الله سبحانه على وجوده ومن علامته على توحيده لانه
كما لا يمكن استقامة امر العالم واعتداله بغير مدبر كذلك لا يتوهم
وجوده وترتيبه وما فيه من العبر الجمة ودقائق الصنعة وجمالها
بغير خالق خلقه وعالم اتقنه وحكيم دبره وكما لا يستقيم سلطانان
في بلد واحد كذلك لا يستقيم الايمان للعالم والعالم باسره في
سلطان الله كالبلد الواحد في يد سلطان الارض ولهذا قال علي بن
ابي طالب رضي الله امران جليلان لا يصلح احدهما الا بالتفرد ولا يصلح الاخر
الا بالمشاركة وهما الملك والراي وكما لا يستقيم الملك بالشركة
فكذلك لا يستقيم الراي بالتفرد ومثال السلطان القاهر
لرعيته مثل بيت فيه سراج منير وحوله فئام من الخلق يعالجون صنا
يعهم فبينما هم كذلك طفي السراج فقبضوا ايديهم للوقت
وتعطل جميع ما كانوا فيه فتحرك الحيوان الشرير ودبت العقارب
من مكامنها وفسقت الفارة من جحرها وخرجت الحية من معدنها
وجاء اللص بحيلته وهاج البرغوث مع حقارته فتعطلت المنافع واستطا
رت المضار كذلك السلطان اذا كان قاهرا للرعية كانت المنفعة به
عامة فكانت الدماء محقونة والحرم في خدورهن مصونة والاسواق
عامرة والمال محروسا والمرافق حاصلة والحيوان الشرير من الفسوق
والدعارة خاملا واذا اختل امر السلطان دخل الفساد على الجميع
ولو جعل ظلم السلطان حولا في كفة ثم جعل فساد الرعية وهرجهم
في ساعة اذا اختل امر السلطان في كفة كان هرج ساعة اعظم
واكثروا

واكثروا الجشر من ظلم السلطان حولا ويجب لا في زوال السلطان وضعف
شوكته فسوق الشر ومكسب الاجناد ونبا اهل الدعارة والسرقة
واللصوص قال الفضيل بن عياض جور ستين سنة خير من هرج ساعة فلا يتمنى
زوال السلطان الا جاهل مغرور او فقيه على كل رعية ان ترغب الى الله تعالى
في صلاح السلطان وان تبذل له نصحها وتخصه بصالح دعائها فان في صلاحه
صلاح العباد والبلاد وفي فساده فساد البلاد والعباد وكان العلماء
يقولون ان استقامت لكم امور السلطان فاكثروا حمد الله وشكره وان
جاءكم منه ما تكرهون فاسندوه الى ما تستوجبونه بذنوبكم فاقيموا
عذر السلطان لانتشار الامور عليه وكثرة ما يكابده من ضبط جوانب
المملكة واستئلاف الاعداء وارضاء الاولياء وفي كتاب التاج همم
الناس صغار وهمم الملك كبار والباب الملوك مشغولة بكل شيء
والباب السوقة مشغولة بايسر شيء والجاهل منه يعذر نفسه
عند ما هو عليه من الرسالة ولا يعذر سلطانه مع شدة ما هو عليه من
المؤنة ومن هنا يعز الله سلطانه ويرشده وينصره وعن هذا قالت
حكماء العجم لا تستوطنن بلدا ليس فيه سلطان قاهر وقاض عادل وسوق الا
قائمة وطبيب عالم ونهر جار

الباب الثامن
في منافع السلطان ومضاره

قالت حكماء العرب والعجم مثل مضار السلطان في جنب منافعه مثل
الغيث الذي سقاه الله تبارك وتعالى وبركة السماء وحياة الارض
ومن عليها وقد يتاذى به المسافر ويتداعى به البنيان وتجري
سيوله فيهلك كثير من الناس والدواب والذخائر فلا يمنع
ذلك الخلق ان نظروا الى اثر رحمة الله في الارض التي احياها والنبات
الذي اخرج والرزق الذي بسط ان يحمدوا نعمة ربهم ويشكروها
ويلغوا ذكر خواص الاذية التي دخلت على خواص الخلق ومثال ذلك
ايضا مثل الرياح التي يرسلها الله نشرا بين يدي رحمته فيسوق
بها السحاب ويجعلها لواقح للثمرات وروائح للعباد يتنسمون

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)